مجلة *جامعة الملك عبدالعزيز:* الآداب والعلوم الانسانية، م٢٨ع٦ ص ص: ١٠٥– ١٣١ (٢٠٢٠م)
DOI:10.4197/Art.28-6.4

مصطلح "الأنسنة" وتجلياته في الفكر المعاصر
(دراسة تحليلية نقدية)

ندى بنت حمزة بن عبده خياط
أستاذ مشارك عقيدة إسلامية
جامعة طيبة_دراسات إسلامية
الآداب والعلوم الإنسانية

مستخلص. موضوع البحث: مصطلح "الأنسنة" وتجلياته في الفكر المعاصر (دراسة تحليلية نقدية).
أهداف البحث: الكشف عن مفهوم الأنسنة ومآلاته في خطابات العلمنة المعاصرة والتأويل الحداثي في قراءة النصوص الشرعية.
منهج البحث: سلكت في هذا البحث المنهج التحليلي والمنهج النقدي.
أهم النتائج: أن الأرضية المادية التي انطلق منها فلاسفة الغرب ومفكروه والتي تحكمت بمواقفهم تجاه الدين وتجاه الحقيقة ذاتها هي المنطلق الأساسي في انتهاج الأنسنة وتوظيفها في قراءة النصوص الدينية.
أهم التوصيات: ضرورة إجراء المزيد من الأبحاث والدراسات التفكيكية والنقدية للمصطلحات والمفاهيم الجديدة في عالم ما بعد الحداثة، والتي تصدر إلى عالمنا العربي والإسلامي، والرد عليها وفق منهجية رشيدة مستلهمة من طريقة السلف وأدواتهم وآلياتهم في التعامل مع المخالفين.
الكلمات المفتاحية: الأنسنة / التأويل الحداثي / القراءة المعاصرة / Humanism / الحداثة العربية / الانسانوية.

المقـــدمـة

فقد شاءت حكمة الله تعالى أن يصطفى الإنسان ليكون خليفة الأرض، ويحظى بموكب التشريف والتكريم حين خلقه سبحانه وتعالى بيده، وعلّمه الأسماء كلها، وأسجد له ملائكته، ثم أرسل له الرسل وأنزل معهم الكتب لتذكيره بمهمته الأساسية والغاية الأساسية التي من أجلها تمت عملية خلقه، فلا يغفل

عنها، ولا تجرفه شهواته الفكرية ونزواته المعرفية عن العدول عن هذه المكانة الفريدة التي شرّفه الله بها.

فمن أعظم ما يحقق للإنسان التشريف والفرادة هو التزامه بتحقيق العبودية التامة لله سبحانه وتعالى بسلوك نهج الوسطية الذي ارتضاه الله له وبذلك يتحقق المعنى الوجودي للإنسان، والذي تميز به عن سائر الموجودات وارتفع به عن غيره من أجناس الحيوانات.

لكن شياطين الفكر من غرب وشرق يسعون لهتك هذه القيمة الإنسانية وزحزحة هذه المركزية المتميزة للإنسان التي أراد الله تحققها بمشروطية عبادته والخضوع له، وحدث هذا الانتهاك لهذا الشرف العظيم في ما يعرف بـ"نزعة الأنسنة" التي ظنت أنها تستطيع تخليص الإنسان من سطوة الإله والاحتياج إليه، والاستغناء بالعلم والتقدم المعرفي والاكتشافات الحديثة عنه، وأرادت أن تبني رؤيتها الكونية بعيداً عن نور الوحي الإلهي، ومن غير الالتفاف إلى الأديان، وأن تقدم للإنسان بديلاً للتصورات الدينية، ولكنها للأسف لم تقدم للبشر السعادة والرضى، ولم تحافظ على إنسانية الإنسان بل انتهت إلى القضاء عليه والحكم عليه بالتيه والضياع عندما جعلت وجود الإنسان مجرد حدث عادي نتيجة ضربة عشوائية من ضربات المادة الصماء.

إن ظاهرة نقد الأديان قد ارتكزت على "الأنسنة" ارتكازاً كبيراً في التعامل مع النصوص الشرعية في فضاءات الحداثة العربية المعاصرة.

فباتت غالب خطابات العلمنة المعاصرة والتأويل الحداثي معتمدة على مبادىء الأنسنة في تفسير النصوص وقراءة التراث الإسلامي قراءة تاريخانية.

وهذا السبب جعل دراسة هذا الموضوع والكتابة فيه أمراً في غاية الأهمية حيث أن هذه النظرية لازالت تؤخذ في الدرس الفلسفي العربي المعاصر، الذي يقرأ التراث الإسلامي بمنظور "الأنسنة"، مع أن ذات الخطاب عندما يقرأ الفكر الغربي يقرأه باعتباره فكراً مستنيراً وحقيقة مطلقة متعالية لم تؤثر فيها الدوافع الأنسنية!.

ومما زاد من أهمية الموضوع في نفسي ورغبني في الكتابة فيه: صدور ملف بحثي كامل خاص بـ"الأنسنة" عنوانه "أنسنة الفكر الديني" من إصدارات مجلة "ذوات" والذي أعدته مؤسسة مؤمنون بلا حدود في العدد الخامس والثلاثون سنة ٢٠١٧م.

ولذلك رغبت في الكتابة في هذا الموضوع بياناً لمفهوم الأنسنة وخطورة هذا الاتجاه الفكري ورداً لشبهاته، واخترت عنواناً لبحثي: **"مصطلح "الأنسنة" وتجلياته في الفكر المعاصر (دراسة تحليلية نقدية)"**

ولا أزعم أني أحطت بكافة التفاصيل المرجوة من هذه الدراسة في هذه الورقات، إلا أني حرصت أن أنظر إليها من زوايا مختلفة تتسم -كما أرجو- بقدر من الجدة والشمول.

وعن خطتي في البحث:

فقد رسمتُ لبحثي خطة مكونة من مقدمة وأربعة مباحث:

المبحث الأول خصصته عن مفهوم الأنسنة.

أما **المبحث الثاني** فخصصته عن تشكل مصطلح الأنسنة في الفكر الغربي.

و**المبحث الثالث** فخصصته عن أنسنة النصوص في الخطاب العربي المعاصر.

والمبحث الرابع ذكرت فيه ملاحظات نقدية.

ثم الخاتمة وقائمة بالمراجع وفهرس للمحتويات.

وأخيراً أسأل الله عزّ وجل أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه، وأن يغفر لي ما فيه من الزلل، وصلى الله على سيدنا محمد سيد الكائنات والبشر، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

المبحث الأول:

مفهوم "الأنسنة"

يُعد مصطلح "الأنسنة" من المصطلحات الفلسفية المعاصرة، والتي تستخدم في سياقات فكرية مختلفة، وللمصطلح مجموعة مضامين ودلالات معرفية وله حمولة ثقافية، ويُراد لهذه المضامين والدلالات أن تُعطى صبغة عالمية، وهو مصطلح وافد ليس من نتاج ثقافتنا العربية أو الإسلامية، إنما هو من نتاج الثقافة الغربية المادية ذات الأبعاد الفلسفية والفكرية التي تم تشكلّها وفق خصوصيتها الزمكانية.

وللاقتراب من مفهوم "الأنسنة" –شأن كثير من المصطلحات الفلسفية– يحسن بنا أن نمرة بنظرة سريعة على البنية التي تشكل فيها المصطلح، واشتقاقات المصطلح في المعاجم. والمرادفات اللغوية التي يحدث بينها وبينه نوعاً من التداخل، ثم نصل إلى مقاربة لمفهوم هذا المصطلح.

ويُعبر علي حرب (ولد سنة ١٩٣٩م) عن تشكلّ مصطلح "الأنسنة" بأنها: (ثمرة عصر التنوير والانقلاب على الرؤية اللاهوتية للعالم والإنسان، أي هي ثمره رؤية دنيوية ومحصلة فلسفية علمانية دهرية، بهذا المعنى فإن "الأنسنة" هي الوجه الآخر للعلمنة)[١].

ولفهم وتفكيك مفهوم "الأنسنة" لابد لنا من فحصه من داخل قواميس اللغة التي أنتجته ومعرفة الألفاظ والاشتقاقات التي تعبر عنه ثم معرفة سياقاته ودلالاته المعرفية.

إن مصطلح "الأنسنة" هو تعريب لمصطلح (Humanism)[٢] وهو (مشتق من الكلمة اللاتينية (Humanistas) وتعني تعهد الإنسان لنفسه بالعلوم الليبرالية التي بها يكون جلاء حقيقته، على أنه إنسان مميز عن سائر الحيوانات)[٣].

وجاء في المعجم الفلسفي الشهير لالاند (هي مركزية إنسانية متروية، تنطلق من معرفة الإنسان، وموضوعها تقويم الإنسان وتقييمه واستبعاد كل ما من شأنه تغريبه عن ذاته، سواء بإخضاعه لحقائق

---

[١] ص ٧٣ حديث النهايات فتوحات العولمة ومآزق الهوية، علي حرب، بيروت، المركز الثقافي العربي، ط٢، ٢٠٠٤م.

[٢] ص ٣٠ معارك من أجل الأنسنة، محمد أركون، بيروت، دار الساقي، ط١، ٢٠٠١م.

[٣] ص٧١ الموسوعة الفلسفية، عبد المنعم الحفني، القاهرة، مكتبة مدبوي، ط١، ١٩٨٦م.

ولقوى خارقة للطبيعة البشرية، أم تشويهه من خلال استعماله استعمالاً دونياً، دون الطبيعة البشرية)[٤].

ويقول أيضاً صاحب المعجم عن صعوبة سك مصطلح الأنسنة وتحديده: (وندرك بسهولة أن هذه النزعة الأساسية يمكنها أن تؤدي إلى مذاهب شديدة الاختلاف، ليس فقط حسب المجال الذي تنطبق عليه "جماليات، أخلاقيات، معرفيات، تربويات" بل أيضاً حسب المركزية البشرية وكونها معتمدة فقط كمنهج أو مرفوعة إلى مستوى نسق أو نظام، وحسبما يكون استبعاد الخارق للطبيعة البشرية، معتمداً بصفة مؤقتة أو بصفة نهائية)[٥].

كما يُعد المصطلح من أكثر المصطلحات التباساً وتعقيداً في الثقافة الغربية الحديثة[٦]ذاتها، فضلاً عن اجترارة في بيئتنا العربية، ويرى البعض أنه (ليس هناك تعريف دقيق للمذهب الإنساني)[٧]أساساً.

ومما زاد من إشكالية المصطلح وتشعب مضامينه وشدة التباسه؛ أن له مجموعة مصطلحات رديفة وشائعة كمصطلح "الإنسانية" و"الإنسانوية" و"النزعة الإنسانية" و"المذهب الإنساني".

وجاء في الملف البحثي –الذي أعدته مؤسسة مؤمنون بلا حدود في ابريل ٢٠١٧م في مجلتها– "ذوات" أن (مفهوم النزعة الإنسانية في حقيقة الأمر مفهوم متعدد المعاني وملتبس، ويكتنفه عموم يجعله قابلاً لاكتناز تصورات مختلفة بحسب المرجعيات والسياقات التاريخية، فعلى المستوى المرجعي تختلف دلالات المفهوم بين الفيلسوف والعالم ورجل الدين، كل بحسب منطلقه)[٨].

ويعرّف هيدجر (١٨٨٩ – ١٩٧٦م) "النزعة الإنسانية": بأنها: (ذلك التأويل الفلسفي للإنسان، الذي يفسّر ويقوّم كلية الموجود انطلاقاً من الإنسان، وفي اتجاه الإنسان.... هي تلك الفلسفة التي تضع الإنسان في مركز الكون عن قصد ووعي، وتعتقد من خلال تأويلات ميتافيزيقية معينة للوجود في إمكانية تحرير قدراته، وتأمين حياته، والاطمئنان إلى مصيره وتطوير وتنمية طاقاته الإبداعية)[٩].

الأنسنة إذاً هي حركة متفائلة بقدرات الإنسان على العطاء والتواصل والإبداع والإنتاج المستمر عندما جعلت الحضارة الغربية من الإنسان مركزاً للكون بأسره..

وعرّف هاشم صالح (ولد سنة ١٩٥٠م) "الإنسية" أو "الإنسانية" قائلاً أنها: (تمثل أخلاقية النبل البشري، وكانت موجهة في اتجاه الدراسة النظرية والتطبيق العملي في آن معاً، إنها تعترف بعبقرية الجنس البشري، بل وتمجد عظمة الإبداع الإنساني وتواجه قوة الطبيعة الميتة بالقوة الحية للإنسان، إن النزعة

---

[٤] (٥٦٩/٢) موسوعة لالاند الفلسفية، اندري لالاند، تعريب: خليل أحمد خليل، بيروت-باريس، منشورات عويدات، ط١، ١٩٨٦م.

[٥] المرجع السابق وبنفس الصفحة.

[٦] ص١١ النزعة الإنسانية وإرث الأنوار، حسن حنفي، مصطفى حنفي، الدار البيضاء، أفريقيا الشرق، ٢٠١٤م.

[٧] ص٩ إنسانية الإنسان، رالف بارتون بري، ترجمة: سلمى الخضراء الجيوسي، بيروت، مكتبة المعارف، ١٩٦١م.

[٨] مجلة ذوات العدد ٣٥، مقال بعنوان: الأنسنة في فكر محمد أركون، بقلم: عبد الله إدالكوس، العدد الخامس والثلاثون، إبريل ٢٠١٧م.

[٩] ص ٤٣ موت الإنسان في الخطاب الفلسفي المعاصر، هيدجر-ليفي ستروس-ميشيل فوكو، ترجمة: عبد الرزاق الداوي، بيروت، دار الطليعة، ط١، ١٩٩٢م.

البشرية هي ذلك الجهد الذي يبذله الإنسان لكي ينمي في داخله، وبواسطة النظام الصارم المنهجي، كل الطاقات البشرية، فلا يترك شيئاً يضيع مما يعظم الإنسان ويمجده)[١٠].

وفي مزيد بيان لمعنى "النزعة الإنسانية" يجدر بالذكر إيراد تعريف عبدالرحمن بدوي (١٩١٧-٢٠٠٢م) الذي قال عن معناها المذهبي بأنه معنى: (يتردد كثيراً على ألسنة وأقلام أصحاب المذهب الوجودي، وهو عندهم يختلف اختلافاً ظاهراً عنه عند أصحاب المعنى التاريخي، لأنه لا يعتمد على تجربة روحية تاريخية بل على مذهب قائم برأسه في فهم الوجود على أساس أن مركز المنظور فيه هو الإنسان، وأن الوجود الحق أو الوحيد هو الوجود الإنساني، حتى صارت شارته هي: كل شيء للإنسان، ولا شيء ضد الإنسان، ولا شيء خارج الإنسان)[١١]، ويقول عبد الرحمن بدوي أيضاً : أن أول (ما تمتاز به هذه النزعة هي أنها تبدأ فتؤكد أن معيار التقويم هو الإنسان)[١٢].

إذاً أصبح الإنسان هو مصدر المعرفة ومعيار تقويم الأفكار وقياس صحتها، فهو مقياس كل شيء، ويستطيع فهم كل شيء وإدراكه مستقلاً عن وجود أي معطى خارجي.

ومن الملاحظ أيضاً في تعريف الأنسنة، أن هناك مصطلحاً آخراً قريباً منه وهو مصطلح "الإنسانوية" والتعبير بـ"الإنسانوية" هو تعبير بصيغة مبالغة وغلو في التعبير عن المعنى في السياقات الحديثة، جاء في معجم Menriam-Webster أنها: (عقيدة ، مجموعة من السلوكيات، أو طريقة للحياة متمركزة حول اهتمامات الإنسان أو قيمه، كفلسفة ترفض ما فوق الطبيعة، تعتبر الإنسان موضوعاً طبيعياً، تؤكد على الكرامة الأساسية وقيمة الإنسان وقدراته على تحقيق الذات من خلال العقل والمنهج العلمي التجريبي)[١٣].

فالإنسان بحسب هذا التعريف هو مصدر المعرفة وحده، وهو المخلص لنفسه بنفسه من دون أن تدخل أي شيء أخر، لأن المعرفة البشرية محصورة في دائرة المنهج التجريبي وعقل الإنسان الذي يتفاعل مع مدركاته الحسية.

وعبر عبد الوهاب المسيري (١٩٣٨ – ٢٠٠٨م) عن الأنسنة بـ "الإنسانية الطبيعية" في كتابه "موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية"، وفي بيان معنى "الإنسانية الطبيعية" ذكر أنها النزعة التي تعتقد أن الإنسان يدور في إطار المرجعية الكامنة في المادة، ويعيش بالطبيعة وعلى الطبيعة، وأن الإنسان مكتف بذاته: مرجعيته ذاته، ومعياره ذاته، ولا توجد أية حدود أو سدود أو قيود عليه، وأنه جزء من الطبيعة،

---

[١٠] ص٨٢ مدخل إلى التنوير الأوروبي، هاشم صالح، بيروت، دار الطليعة، ط١ن ٢٠٠٥م.
[١١] ص ١٦ الإنسانية والوجودية في الفكر العربي، عبد الرحمن بدوي، لبنان، دار القلم، الكويت، وكالة المطبوعات، ١٤٠٣هـ.
[١٢] ص ١٩ المرجع السابق.
[١٣] ص٢٠ الإنسانوية المستحيلة "إشكالات تأليه الإنسان وتفنيدها في الفكر المعاصر"، ابراهيم بن عبد الله الرماح، الرياض، مركز دلائل، ط١، ١٤٣٩هـ.

وينطبق عليه ما ينطبق عليها من أوصاف وتفسيرات[١٤].

فالإطار المادي هو المرجع الذي يحدد ملامح "الأنسنة" إذاً وتدور مضامين "الأنسنة" الفكرية في فلكه.

فلا توجد سلطة عليا على الإنسان ولا مجال للحديث عن الروح أو الغيب أو الوحي أو الرسل والرسالات وغير ذلك.

ويترجم أركون (١٩٢٨ - ٢٠١٠ م) هذا المعنى في تعريفه لـ"الأنسنة" قائلاً: (بأنها عملية الانتقال من عالم يسيطر فيه المقدس إلى عالم يسيطر فيه الإنسان، وأنه لا وجود لمثال أعلى خارج المجتمع أو خارج الإنسان)[١٥].

ويقول أيضاً عن الأنسنة أنها: (نشاط شامل مبدع يعتني بإعادة النظر في جميع ما يتعلق بوجود الإنسان وطرق الفهم والتأويل والتجسيد التاريخي)[١٦].

فللإنسان –وفق نظرة أركون– مطلق السيادة مستقل عن الأديان ويملك القدرة الخارقة للسيطرة على الطبيعة عوضاً عن الله.

ومن التعريفات السابقة لمصطلح "الأنسنة " وبعد ذكر صعوبة ضبطه وتحديده، وبعد أن استعرض المبحث اشتقاقات هذا مصطلح اللغوية، وما تضمنه من دلالات معرفية في السياقات والمرجعيات المختلفة نستطيع أن نقول أن مصطلح "الأنسنة " عبارة عن رؤية كونية مادية صلفة، تؤمن بقدرات الإنسان المطلقة وتنكر وجود أي قوى خارجية عنه، فوحده الإنسان الذي ينتج المعرفة وله صلاحية تقويمها بقدراته اللامحدودة.

المبحث الثاني:

تشكل مصطلح الأنسنة في الفكر الغربي

لإتمام تصور وفهم مصطلح "الأنسنة" الشائك ولكي ندرك إشكالية المصطلح، ثم يتسنى له متابعة عملية التفكيك والنقد فيما بعد، لابد هنا من بيان الجذور التاريخية التي نشأ على إثرها وتشكل هذا المصطلح، وذكر البيئة التي نما وترعرع فيها، والبحث عن السياقات التاريخية التي أنتجته وساهمت في تبلوره وتشكله.

فلو جئنا للعصور القديمة وخصوصاً العصر اليوناني لوجدنا جذراً تاريخياً لفكر "الأنسنة" مع بروتاغوراس (٤٨٥–٤١١ق.م) حيث اعتبر الإنسان مركز الكون وجعل (الإنسان مقياساً لجميع الأشياء)[١٧].

وقد استفاد سقراط (٤٧٠–٣٩٩ق.م) من عبارته تلك، واستلهم منها جملته الشهيرة التي نقشت على باب المعبد: (اعرف نفسك بنفسك)[١٨]فالعلوم بأنواعها

---

[١٤] (٧٣/١) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، عبد الوهاب المسيري، دار الشروق، ط١، ١٩٩٩م.

[١٥] ص ١٥٥الأنسنة والتأويل في فكر محمد أركون، أطروحة دكتوراة مقدمة من الطالب مصطفى كيحل، إشراف: إسماعيل زروخي، جامعة منتوري- قسنطينة، ٢٠٠٧-٢٠٠٨م، نسخة إلكترونية على الشبكة العنكبوتية.

[١٦] ص١٩ معارك من أجل الأنسنة.

[١٧] ص١٦٤ قصة الفلسفة، ول ديوازنت، ترجمة: فتح الله المشعشع، بيروت، دار المعرف، ط٦.

[١٨] ص٣٦٦ معجم الفلاسفة، جورج الطرابيشي، بيروت، دار الطليعة، ط١، ٢٠٠٦م.

والطبيعة الفيزيائية للأشياء لا يمكن لنا معرفتها عند سقراط، لأننا لا نعرف سوى أنفسنا[١٩].

واعتبر هاشم صالح عبارة سقراط تلك بأنها مقدمة نشأة العلوم الإنسانية وذلك عند قوله: (وهكذا تشكلت العلوم الإنسانية لأول مرّة في تاريخ البشرية. لأول مرة أصبح الإنسان موضوعاً للتفحص من قبل الإنسان. ويمكن القول بأن عبارة سقراط هذه كانت مشروع كل الفلاسفة والعلماء)[٢٠]الذين جاؤوا من بعده.

إن تراث اليونان بوجهه الفلسفي إذاً، ووجه الإغريقي تحديداً المتمثل في الآداب والقانون والأخلاق والفنون والشعر كان أيضاً رافداً من روافد تشكل الفكر الأنسني الحديث[٢١]، وذلك لتسرب هذه النزعة الإغريقية إلى عامة مثقفين أوروبا وتأثيرها بشكل كبير في وعيهم وطريقة تفكيرهم فيما يعرف بعصر النهضة.

إن عصر النهضة: هو العصر الذي بدأ يمارس فيه النقد الديني للنصوص المسيحية، وهو العصر الممتد من القرن الرابع عشر حتى نهاية القرن السادس عشر أو بداية القرن السابع عشر[٢٢].

وكانت النزعة الإنسانية في هذه المرحلة محافظة على الالتزام بالقوانين الدينية وخاضعة للمسيحية مع ممارسة النقد عليها، ودور (الإنسان لم يعد عديم الشأن بالنسبة إلى الرب، الكنيسة، أو الطبيعة)[٢٣]كما كان سابقاً في القرون الوسطى.

وبتعبير زكي نجيب محفوظ (١٩٠٥-١٩٩٣م): (جاءت النهضة الأدبية فأعلنت معها حرية الإنسان في فكره، وانطلق العقل من قيود الفلسفة المدرسية إلى حيث الطبيعة، بحلوها ويفكر في جوانبها، وسرعان ما تنبه الإنسان إلى قيمة نفسه وعظيم قدره بين الكائنات، حتى نشأ لذلك مذهب خاص يُعرف بالمذهب الإنساني، يرفع الإنسان إلى أرفع المراتب، ويضع مصلحته فوق كل شيء آخر)[٢٤].

وعبر هاشم صالح عن هذا المعنى الذي استجد في هذا العصر- وموقف فلاسفته- بقوله: إنه عصر (اكتشاف معنى جديد للحياة، فالحياة أصبحت قيمة بحدّ ذاتها وبدأ يختفي أو ينحسر معنى الآخرة بالمفهوم الكنسي، أو الخلاص، أو ذمّ الدنيا والزهد فيها ونحو ذلك. وكان النهضويون يعرفون ذلك ويشعرون به تماماً.

يقول إراسموس (١٤٦٦- ١٥٣٦م) الزعيم الغير منازع للحركة الإنسية الأوروبية: "ينبغي أن نتمنى حظاً سعيداً لهذا القرن، لأنه سيكون العصر الذهبي". ويقول أحد الأنسيين الألمان: "ياله من

[١٩] ص ١٧٠ المرجع السابق.

[٢٠] ص١٦١ مخاضات الحداثة التنويرية القطيعة الإبستمولوجية في الفكر والحياة، هاشم صالح، بيروت، دار الطليعة، ط١، ٢٠٠٨م.

[٢١] ص١٨١بنية الثورات العلمية، توماس كون، ترجمة: حيدر حاج اسماعيل، مراجعة: محمد دبس، بيروت، المنظمة العربية للترجمة، توزيع: مركز دراسات الوحدة العربية، ط١ ،٢٠٠٧م.

[٢٢] ص٢١ الإنسانوية مقدمة قصيرة جداً، ستيفن لو، ترجمة: ضياء وراد، مراجعة: مصطفى محمد فؤاد، القاهرة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ط١، ٢٠١٦م.

[٢٣] ص٢٦٨ آلالام العقل الغربي، ريتشارد تارناس، ترجمة: فاضل جتكر، الرياض، العبيكان، ط١، ١٤٣١هـ.

[٢٤] (٤٦/١) قصة الفلسفة الحديثة، زكي نجيب وأحمد أمين، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، ١٣٥٥هـ.

قرن! يالها من آداب جميلة! ما أجمل العيش في هذا العصر". ويقول آخر: "يالله! ما هذا القرن العظيم الذي يفتح أمامنا. كم أتمنى لو أني أعود إلى الشباب")[٢٥].

ويُعد إراسموس رائداً من رواد الحركة الإنسانية في أوروبا، ويُعتبر الشخص الأول الذي جّسد الثقافة الأنسانوية تجسيداً واضحاً في هذا العصر وذلك بسبب إتقانه للغة اللاتينية إتقاناً قلّ أن يكون له نظير بين مفكري النهضة، وتمكن بواسطتها من تحقيق التراث الإغريقي ونشر الآداب الإنسانية التي أصبحت فيما بعد تنافس الآداب المدرسية الكنسية[٢٦].

وقد نقد إراسموس العقائد المسيحية وسلطة رجال الدين قائلاً: (كل إنسان يمتلك اللاهوت الحقيقي، إنه ملهم ومقود من قبل الله سواء أكان حفاّراً أو نسّاجاً)[٢٧].

وهكذا مورس النقد الديني في هذا العصر واشتد عوده على يد مارتن لوثر (١٤٨٣-١٥٦٦م) الذي مثّل الانشقاق الديني في الديانة المسيحية عندما أعلنها صراحة قائلاً: (طالما وأن القسيس الكاثوليكي أصبح عقبة بين الإنسان وبين الرب، فإن الواجب يقتضينا بأن نتخلص من كل ما قد يشكل عقبة على هذا النحو. ليكن كل إنسان قسيس نفسه وإنها لجرأة تبلغ حد الوقاحة حين نزعم أن الله العلي القدير العليم الخبير يرضى بان يتدخل جهاز تافه مثل الكنيسة في علاقته مع عباده. علاوة على هذا فإن الله بسط نواياه ومقاصده واضحة في الكتاب المقدس، ويستطيع كل إنسان أن يقرأه بنفسه ولنفسه دون وساطة قسيس.)[٢٨].

وقد دعا إلى حرية الفكر والدعوة للفهم المباشر لنصوص الأناجيل، بلا واسطة رجال الدين[٢٩].

فكانت دعوته دعوة إصلاحية استجابة للتغييرات الفكرية والثقافية للحركة الإنسية في أوروبا في هذا العصر.

وكانت النزعة الإنسية في هذا العصر غير منفصلة انفصالاً تاماً عن الدين المسيحي، ولا ترى تناقضاً أو تبايناً تاماً بين الدين والأنسنة.

أما في **عصر التنوير**: وهو العصر الذي تلا عصر النهضة وامتد حتى القرن الثامن عشر الميلادي، فقد مثّل الثورة على كل المسلمات، فهو عصر فصل الدين عن الدولة، وفي هذا العصر أصبح الإنسان وحده (مقياساً لكل شيء، كان هو مسوغ وجوده وغايته)[٣٠].

إن عصر الأنوار هو عصر انقلاب البنى السياسية والدينية وهو عصر الثورة الفرنسية التي جسدت للناس (الأمل الكبير بأن يتم إحلال الإنسان محل الله: فحتى لو لم يوجد مدبر عظيم، ولم تكن مصائرنا محكومة بقوة عليا، وحتى إن لم يكن هنالك

---

[٢٥] ص٨١ مدخل إلى التنوير الأوروبي.
[٢٦] ص ٥٠-٥١ الإلحاد في الغرب، رمسيس عوض، القاهرة، دار سينا للنشر، ط١، ١٩٩٧م.
[٢٧] ص١٠٥ مدخل إلى التنوير الأوروبي.
[٢٨] ص ٩٠ تشكيل العقل الحديث تأليف: كرين برينتون ترجمة: شوقي جلال مراجعة: صدقي حطاب، الكويت، عالم المعرفة، ط١، ٢٠٠٢م.
[٢٩] ص٢٥٥ مخاضات الحداثة التنويرية.
[٣٠] ص١٩١ أزمة الوعي الأوروبي، بول هازار، ترجمة: نعيمة إدريس، جامعة منتوي قسنطينية، ٢٠٠٧م.

من يراقبنا ويسهر على حسن سير الأمور بحكمته اللامتناهية التي لا يمكن سبرها، سنعرف كيف نتولى أمورنا بأنفسنا، وبفضل العلم والعقل، والتقدم والديمقراطية، سنقضي على كل آلام البشر)[٣١].

ويُعد كانط (١٧٢٤-١٨٠٤م) المؤسس الأول للفلسفة الإنسانية في اعتبار الإنسان مركز الاهتمام في الفكر وتحويل الشأن المجتمعي إلى مادة للتعقل والتأمل النظري[٣٢].

ويقول أركون عن كانط بأنه: (يُشكل لحظة أساسية وهامة جداً في تاريخ الفكر الأوروبي الحديث)[٣٣].

ويقول هاشم صالح: (فمنذ اللحظة الكانتية انبثقت العلوم الإنسانية في الساحة الأوروبية منذ ظهور كتب كانط الأساسية، وعندها أصبح الإنسان موضوعاً للمعرفة، بعد سؤال كانت الشهير "من هو الإنسان")[٣٤].

يقول كانط: (إن التنوير هو خروج الإنسان عن حالة قصوره التي يتسبب فيها بنفسه، والقصور هو عجزه أن يكون لنفسه عقلاً من دون مساعدة من سواه)[٣٥].

فهو يهمش المرجعية الغيبية ويمجد الإنسان باعتبار أن عصر التنوير هو إعلان لتفوق النزعة الإنسية، فكل الحقائق يستطيع أن يصل إليها الإنسان بعقله فقط.

وهذا الأمر الذي أكد عليه ممثلوا التنوير في هذا العصر: (أن العقل سبيلنا للنفاذ إلى الحقيقة الكامنة وراء الظواهر..... وسيكون العقل أداتنا للاهتداء إلى المؤسسات والعلاقات الإنسانية الطبيعية وما أن نهتدي إلى هذه المؤسسات أو العلاقات حتى نتمشى معها ونسعد بها. وسيكشف العقل عنا غشاوة الخرافات والخوارق وغير ذلك من أمور تتنافى معه وتراكمت عبر القرون على ظهر الأرض واعتبرها العقلانيون الشياطين الحقيقين)[٣٦]، (وقد أفضى بهم الأمر إلى تأليه الإنسان: عندما نتبع العقل لا نخضع إلا لأنفسنا، وتصبح بذلك على وجه ما آلهة)[٣٧].

وازدادت هذه النزعة رسوخاً في الفكر الغربي، واشتد عودها وسلطانها حتى بلغت ذروتها في **العصر الحديث** في القرن التاسع عشر والعشرين حتى اتجهت نحو الإلحاد وإنكار الغيب.

(لقد آمنت حداثة القرن التاسع عشر بالإنسان وبقدرته المطلقة على فهم العالم والحياة والذات والتاريخ والواقع، وقد رسخ هذا الشعور في وعي الحداثة، الثورات، والاكتشافات العلمية التي أشعرت الإنسان بأنه لم يعد بحاجة إلى أي قوة غيبية خارج

[٣١] ص٢٢ من أين أتت العدمية؟ ، نانسي هيوستن، ترجمة: وليد السويركي، دار الكلمة، ٢٠١٢م.
[٣٢] ص١٢٨-١٢٩ الفكر الأوروبي الحديث والمعاصر لعبد الله السيد ولد أباه، ضمن كتاب: مدخل لتكوين طالب العلم في العلوم الإنسانية، بيروت، الشبكة العربية للأبحاث، ط٢، ٢٠١٣م.
[٣٣] ص٢٣١ الفكر الإسلامي نقد واجتهاد، محمد أركون، ترجمة: هاشم صالح، الساقي، ط١، ١٩٩٠م.
[٣٤] ص١٢٨ مخاضات الحداثة التنويرية.
[٣٥] ص ١٣٩ مدخل إلى التنوير الأوروبي.
[٣٦] ص ١٦٢ تشكيل العقل الحديث.
[٣٧] ص ٢٣١ الفكر الإسلامي نقد واجتهاد.

نطاق الطبيعة. فكل شيء قابل للتغيير من خلال قانون السببية الصلبة)[٣٨].

وكان أوجست كنت (١٧٩٨٠-١٨٥٧م) من أبرز من دعا إلى ما يُعرف بدين الإنسانية، الدين الذي يقوم على عبادة الإنسان بدلاً عن عبادة الله تعالى، باعتبار أن الإنسان هو الموجود الأعظم الذي تشاركت فيه كل أجيال بني آدم في تقدم الإنسان وسعادته، وجعل لها طقوساً وشعائر خاصة بها، وقد نصّب نفسه الكاهن الأكبر للديانة الإنسانية، ووضع لها شعار المحبة كمبدأ، والنظام كأساس، والتقدم كغاية، وكان له بعض الأشياع في دول متعددة، تبعوا في كل بلد كاهناً وأقاموا لهم معبداً[٣٩].

ومن فلاسفة الإنسانية في هذا العصر أيضاً الفيلسوف فيورباخ (١٨٠٤-١٨٧٢م) الذي اعتبر أن الإنسان هو الله أو الله هو الإنسان حين يتحدث عن الله فإنه في الحقيقة يتحدث عن نفسه، لأن الآلهة ليست إلا تجسيداً لرغبات الإنسان[٤٠].

أما نيتشه (١٨٤٤-١٩٠٠م) فقد وصل بالنزعة الإنسانية إلى أعلى درجة من الغلو والشطط بإعلانه لموت الإله والتنكر له، (ومعنى ذلك أن فكرة الله عز وجل، لم تعد تمثل القيمة العليا، فلم يعد قابلاً للتصديق، لقد أصبح الله هو إدانة الحياة)[٤١].

لأن الإيمان بوجود الإله يحول بين الإنسان وبين إحساسه بنفسه، وأن ذلك عقبة في طريق سيادة الإنسان وتفوقه، فلابد إذاً من التخلص من وجود الإله ذاته[٤٢].

وبهذه الأفكار الفلسفية الغالية في الموقف من الإنسان والتي تزعمها فلاسفة كبار ومؤثرون في الفكر الغربي، بلغت أفكار الإنسانية درجة عالية من الانتشار والتوسع في العالم الغربي، وتشكلت على إثرها منظمات وجمعيات أخلاقية في أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية تحولت هذه المنظمات والجمعيات إلى إحدى ركائز الحركة الإنسانوية الحديثة والتي أصبحت في القرن العشرين جزءاً من الاتجاه السائد في أوروبا على إثر تراجع الدين على نحو كبير[٤٣].

وأصبح الإنسانيون أصحاب دين جديد أكثر تماسكاً وتنظيماً، وصاحبت منظومتهم الفكرية قبولاً لدى الملاحدة المعاصرين، وأصبحت لهم مؤسسات ومنظمات تحمل رسالة إلحادية ممهورة بالطابع الإنساني. وكان من بينها:

- مجلس الإنسانوية العالمانية.
- الاتحاد الأوروبي الإنسانوي.
- الاتحاد الإنسانوي والأخلاقي الدولي، وهي المنظمة التي تمثّل الآن الحركة الإنسانوية العالمية.

وهناك غيرها من مؤسسات عدة منتشرة حول العالم[٤٤].

---

[٣٨] ص١٧ دراسات معرفية في الحداثة الغربية، عبد الوهاب لمسيري، مصر، مكتبة الشروق، ط١، ٢٠٠٦م.
[٣٩] انظر (٣٤١-٣٤٣) تاريخ الفلسفة الحديثة، يوسف كرم، مصر، مؤسسة هنداوي للنشر والتوزيع .
[٤٠] ص ١١٥ أصل الدين، فيورباخ، ترجمة: أحمد عطية، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات، ط١، ١٩٩١م.
[٤١] ص ٣٧٠-٣٧١ الله في الفلسفة الحديثة، جيمس كولينز، ترجمة: فؤاد كامل، دار قباء للطباعة، ط٣، ١٩٩٨م.
[٤٢] ص٤٠و١٣١ نيتشه، فؤاد زكريا، دار المعارف.
[٤٣] انظر ص ٢٨-٣٠ الإنسانوية مقدمة قصيرة جداً.
[٤٤] انظر ص٣٧-٤١ الإنسانوية المستحيلة.

وقد كتب الإنسانيون في القرن العشرين بياناً نشر سنة ١٩٣٣م وحددوا فيه رؤيتهم المادية، وتصورهم لأفكار المذهب الإنساني، ومن أهم ما جاء فيه: أن الكون موجود بذاته وليس مخلوقاً، وأن الإنسان جزء من الطبيعة وهو نتيجة عمليات مستمرة فيها، وأنه لا ثنائية بين العقل والبدن، وأن ثقافة الإنسان الدينية ليست إلا نتاج التطور التدريجي الناشيء من التفاعل بين الإنسان والهيئة الطبيعية والوراثة الاجتماعية، وأن طبيعة الكون لا تقبل أي ضامن فائق على الطبيعة للقيم الإنسانية، وأنه قد ولى الزمن الذي يعتقد الناس فيه بالدين وبالله[٤٥].

وبعد ٤٠ عاماً نشر الإنسانيون بيانهم الثاني سنة ١٨٧٣م، وكرروا فيه نقدهم للأديان، وأكدوا أنهم يبدأون في تصورهم عن الكون والحياة من الإنسان وليس من الله، ومن الطبيعة وليس من الألوهية[٤٦].

وفي عام ١٩٨٠م أصدر الإنسانيون بياناً آخر جاء فيه: (نحن بوجه عام شكاكون بخصوص ادعاءات وجود ما هو فائق للطبيعة، والإنسانيون العلمانيون قد يكونون لا أدريين أو ملحدين أو عقلانيين أو مشككين، فهم يعتقدون أن الأدلة لا تكفي من أجل إثبات الادعاء بأن هناك عناية إلهية موجودة في الكون هم يرفضون فكرة أن الإله يطرأ بشكل خارق في التاريخ أو يكشف نفسه لقلة مختارة أو أنه يستطيع أن ينقذ أو يحرر الخطاة. الإنسانية العلمانية تريد أن يحل الإيمان بذكاء الإنسان بدلا من هداية الإله.)[٤٧].

ويذكر ستيفن لو[٤٨] في كتابه الانسانوية "مقدمة قصيرة جداً" أبرز ما يميز الرؤية الإنسانوية المعاصرة ويصفها بسبعة محاور أساسية هي:

١- (يؤمن الإنسانويون أن العلم، والعقل بشكل أعمَّ، أداتان مهمتان للغاية يمكننا– ويجب علينا – أن نستخدمهما في كافة مناحي الحياة، ولا ينبغي النظر لأي معتقدات على أنها ممنوعٌ الخوض فيها وغير خاضعة للاستقصاء العقلاني.

٢- الإنسانويون إما ملحدون وإما على الأقل لا أدريون. إنهم يتشكَّكون في الزعم بوجود إله أو آلهة، وكذلك يتشكَّكون في وجود الملائكة والشياطين وغيرها من مثل هذه الكيانات فوق الطبيعية.

٣- يؤمن الإنسانويون أن هذه الحياة هي الحياة الوحيدة لنا؛ فلا توجد حياة أخرى تعود فيها أرواحنا إلى أجسادنا بعد موتنا، كما لا توجد جنة أو نار. ولاحظ أن الموقف الإنسانوي المتشكك في وجود آلهة والحياة الآخرة ليس موقفاً إيمانياً عقائدياً، بل نتيجة لإخضاعهم هذه المعتقدات للاستقصاء النقدي واكتشاف أنها قاصرة بصورة خطيرة.

٤- تنطوي الإنسانوية على إيمان شديد بوجود وأهمية القيمة الأخلاقية. كما يؤمن الإنسانويون بأنه ينبغي أن نستمدَّ أخلاقَنا عن طريق دراسة الطبيعة

٤٥ ص٢٠٥وليم جيمس، محمود زيدان، دار المعارف بمصر، ١٩٥٨م.

٤٦ موقع دانيال هتانو
https://humanitariansy.wordpress.com/2011/01/15/p1u2/qs-f/

٤٧ المرجع السابق.

٤٨ ستيفن لو فيلسوف إنجليزي ومحاضر في الفلسفة في كلية هيثروب جامعة لندن ورئيس تحرير المعهد الملكي للفلسفة مجلة الفكر، كان حصل على الدكتوراة في جامعة أكسفورد من مواليد سنة ١٩٦٠م.

الفعلية للبشر وما يساعدهم على الازدهار في هذه الحياة، لا الحياة الآخرة. وينكر الإنسانويون المزاعم السلبية على غرار أنه لا يمكن وجود قيمة أخلاقية دون الإله، وأننا لن نكون – أو يستبعد أن نكون – أخيارًا دون الإله أو دون دين يرشدنا. ويقدِّم الإنسانويون حججًا وتبريرات أخلاقية لا تعود للمعتقد أو السلطة الدينية.

٥- يؤكِّد الإنسانويون على استقلالنا الأخلاقي الفردي؛ فمن مسئوليتنا كأفراد

أن نُصدر أحكامَنا الأخلاقية الخاصة لا أن نحاول تسليمَ تلك المسئولية إلى سلطة خارجية ما – مثل زعيم سياسي أو عقيدة دينية – لتُصدر تلك الأحكام بالنيابة عنا. يؤيّدِ الإنسانويون تبنِّي أشكالٍ من التعليم الأخلاقي تؤكِّد على تلك المسئولية، التي ستزودنا بالمهارات التي سنحتاجها من أجل الاضطلاع بتلك المسئولية كما ينبغي.

٦- يؤمن الإنسانويون أنه يمكن أن يكون لحياتنا معنًى دون أن يَهَبَنَا الإله

إياه؛ فهم يفترضون أن حيوات بابلو بيكاسو، وماري كوري، وإرنست شاكلتون، وألبرت أينشتاين – على سبيل المثال – كانت حيوات ثرية ومهمة وذات معنًى؛ سواء وُجد الإله أم لا.

٧- الإنسانويون علمانيون؛ بمعنى أنهم يفضلون مجتمعًا ديمقراطيًا مفتوحًا

تتخذ فيه الدولة موقفًا حياديًا فيما يتعلَّق بالدين، وتحمي حريةَ الأفراد في اتِّباع واعتناق، أو رفض ونقد، الأفكار الدينية والإلحادية على حدٍّ سواء. وبينما يعارض الإنسانويون أيَّ محاولةٍ لإجبار الناس على اعتناق أي معتقد ديني، فهم معارضون بالقدر نفسه لإجبارالناس على الإلحاد، كما حدث في ظلِّ حكم أنظمة شمولية معينة)٤٩.

هذا هو مآل الفكر الأنسني في الفضاء المعرفي الغربي وهو العدمية والإلحاد وإنكار الغيب وأن العقل هو المصدر الوحيد للمعرفة، فلا توجد معرفة خارج الإنسان.

المبحث الثالث:

أنسنة النصوص في الخطاب العربي المعاصر

اعتمدت نظرية التأويل المعاصر للنصوص الشرعية في خطابات الحداثة المعاصرة واستنجدت في قراءتها للوحي بما يعرف بنظرية الأنسنة، وهي النظرية التي تُعد الرافد الأساسي للمنهج التاريخي في ممارسة النقد للأديان.

وذكر عبد الوهاب المسيري أن ثمة ما يشبه الإجماع على أن الحداثة ارتبطت ارتباطاً تاماً بفكرة حركة الاستنارة، والتي تنطلق من فكرة أن الإنسان هو مركز الكون وسيده[٥٠].

كما ذكر طه عبد الرحمن في كتابه "روح الحداثة" أن القراءات العربية الحداثية المعاصرة، والتي تستهدف رفع القداسة عن القرآن الكريم قد استنجدت بنظرية الأنسنة وبنت عليها مشاريعها النقدية[٥١].

---

[٤٩] ص١٠-١١ الإنسانوية مقدمة قصيرة جداً.

[٥٠] ص ٣٤ دراسات معرفية في الحداثة الغربية.

[٥١] ص ١٧٨ روح الحداثة المخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية، طه عبد الرحمن، بيروت، المركز الثقافي العربي، ط٢، ٢٠٠٩م.

فالأساس الأول لقراءة النصوص الدينية قراءة تاريخية معاصرة هو "نزعة الأنسنة" التي مجدت الإنسان، وأحلّته محلّ الإله، واعتدت بعقله وارتضت به بديلاً عن الوحي.

ومما ساعد على انتشار هذه الثقة المطلقة بالإنسان هي تلك الاكتشافات العلمية المتلاحقة، وتراكم الفتوحات المعرفية الحديثة والثورات التقنية المتجددة والقدرات الخارقة التي حققها إنسان العصر الحديث، مما أصاب الإنسان بغرور وصلف معرفي شديد وغطرسة علمية وكبر بحثي أثر ذلك في تعامله حتى مع المطلقات والحقائق والمقدسات الدينية.

ويُعد أركون هو أول من عرّب مصطلح (Humanism) إلى "الأنسنة" من خلال أطروحاته الفكرية مثل كتاب "نزعة الأنسنة في الفكر العربي: جيل مسكويه والتوحيدي" طبع سنة ٢٠٠٦م، وكتاب "معارك من أجل الأنسنة في السياقات الإسلامية" طبع سنة ٢٠٠١م.

ويرى أركون أن نظرية (الأنسنة والتأويل في جوهرها تطرح علاقة الإنسان بالنص، خاصة النص المقدس والمؤسسي، أي تطرح مسألة أسبقية الإنسان على النص أو أسبقية النص على الإنسان، وهل الإنسان هو الذي يُحدد معنى النص ويُنتج دلالته، الإنسان المقصود هنا هو الإنسان الفرد المتغير؟ أم أن النص هو الذي يُحدد معنى الإنسان ويبلور هويته ويرسم حدوده؟)[٥٢].

[٥٢] ص٧٢ الأنسنة والتأويل.

طبعاً الإنسان هو الذي يملي على النصوص المعنى في الفكر الأركوني، لأن الوحي من صنع الإنسان ومجده.

فالخطاب الحداثي يريد أن يُعيد المفاوضات مع الله ليقرر أن الإنسان هو الذي يحدد ماذا يقبل وماذا يرفض من معاني النصوص الشرعية، يقول أركون: (الوحي يكون موجوداً كلما جاءت لغة جديدة لتعدل جذرياً نظرة الإنسان إلى وضعه إلى كينونته في العالم إلى علاقته بالتاريخ إلى نشاطه في إنتاج المعنى)[٥٣].

وبتعبير علي حرب: (الإنسان في الرؤية اللاهوتية يفتش عن مشروعية أقواله وأفعاله خارج عالمه، في حين أن الإنسان في الرؤية الإنسانية هو مرجع ذاته والمسؤول عن تحقيق مصيره، والمشرّع لمجتمعه وممارساته. من هنا فإن مفردات الحرية والاستقلالية والفردية والذاتية والأنسنة والتنوير والعقلنة تؤلف شبكة مفهومية تجسّد الرؤية الحديثة للعالم التي برز فيها الشكل الإنساني على حساب الشكل الإلهي)[٥٤].

ويُراهن عبد المجيد الشرفي على أن المستقبل لفهم الإسلام فهماً أفضل سيكون عبر قراءته قراءة تأويلية جديدة، تستجيب لحاجات الناس في الزمن المعاصر[٥٥]. لأن (كل مسلم قادر على أن يستخلص

[٥٣] ص ٥٩-٦٠ نافذة على الإسلام، محمد أركون، ترجمة: صياح الجهيم، بيروت، دار عطية، ط١، ١٩٩٦م.
[٥٤] ص ٧٦-٧٧ حديث النهايات.
[٥٥] انظر ص ٣٣ مستقبل الإسلام في الشرق والغرب (ضمن سلسلة حوارات لقرن جديد)، عبد المجيد الشرفي ومراد هوفمان، سوريا، دار الفكر المعاصر، ط١، ٢٠٠٨م.

لنفسه المعتقد والسلوك الذي يراه منسجماً مع القرآن)[٥٦].

فـ(قراءة النصوص الدينية في الواقع هي ثمرة عملية جدلية بين النص وقرائه من جهة، والبنى الاجتماعية والنفسية للقرّاء من جهة ثانية وذلك في جميع الأديان)[٥٧].

لأن (الله يخاطب الناس في سمفونية الخلق التي يشاركون فيها بصفتهم مخلوقات قادرة دون غيرها، على إغنائها بالأفكار التلقائية التي تصدر عن خيالهم وبالأفكار المنظمة التي ينتجها عقلهم، ولا أحد يمكنه أن يحلّ محلهم في هذا المجال، لأنهم وحدهم يستطيعون أن يصغوا إلى أصوات العالم من حولهم لحناً ونغمة، إذا ما أحسنوا الإصغاء إلى ما يُعمل في أعماق نفوسهم وإلى نشيد الوجود الصامت أو الصاخب، كما أنه لا شيء يُمكنه أن يوقف بحثهم عن الأفضل والأنجع في تنظيم حياتهم، وتحقيق سعادتهم)[٥٨].

وهذا المعنى الذي يطرحه عبد المجيد الشرفي هنا هو صُلب الحداثة المعاصرة التي تُعلي من شأن الإنسان وتمجد عقله وقدراته على حساب الحياد والحقيقة، وتتغافل عن المعاني الموضوعية الموجودة في النصوص الشرعية، وأنها معاني منزلة من الأعلى للأسفل فهي متعالية عن واقع البشر وليست من إنتاج ثقافاتهم ولا من تفاعلهم مع قراءة النصوص.

والآلية التي استخدمها الخطاب الحداثي وانطلق منها لأنسنة القرآن الكريم وتأويله قد اتكأت على عدة وسائل واستعملت مجموعة من الممارسات نعرض بعضاً منها:

- **<u>حذف عبارات التعظيم:</u>**

وهي العبارات التي يستخدمها جمهور المؤمنين في تعظيمهم لكتاب الله، مثل "القرآن الكريم" أو "القرآن العزيز" أو "القرآن الحكيم" أو "القرآن المبين" أو "الآية الكريمة" أو "قال الله تعالى"[٥٩].

- **<u>استخدام مصطلحات جديدة في وصف القرآن:</u>**

مثل المدونة النصية أو وصف الآية القرآنية بالمنطوقة أو العبارة اللغوية، يقول هاشم صالح عن أستاذه أركون: (نلاحظ أن أركون يستخدم مصطلحات ألسنية محضة للتحدث عن القرآن، فهو يقول المنطوقة أو العبارة اللغوية بدلاً عن الآية القرآنية، ويقول المدونة النصية بدلا من القرآن. وسبب ذلك أنه يريد تحييد الشحنات اللاهوتية التي سرعان ما تستحوذ على وعينا عندما نتحدث عن القرآن، فالقداسة اللاهوتية أو الهيبة اللاهوتية العظمى التي تحط بالقرآن منذ قرون تمنعنا من أن نراه كما هو. أي كنص لغوي مؤلف من كلمات وحروف وتركيبات لغوية ونحوية بلاغية. بمعنى آخر: إن المادة اللغوية للقرآن اختفت تماماً أو غابت

[٥٦] ص ١٦٠ الثورة والحداثة والإسلام، عبد المجيد الشرفي، حاورته كلثوم السعفي حمدة، تونس، دار الجنوب، ط١، ٢٠١١م.
[٥٧] ص ١٠٧ لبنات في قراءة النصوص، عبد المجيد الشرفي، تونس، دار الجنوب، ط١، ٢٠١١م.
[٥٨] ص ٩٤ الإسلام بين الرسالة والتاريخ، عبد المجيد الشرفي، بيروت، دار الطليعة، ط٢، ٢٠٠٨م.

[٥٩] انظر ص ١٧٨-١٧٩ روح الحداثة.

عن أنظارنا بسبب الهيبة العظيمة التي تحيط به، وميزة القراءة الألسنية هي أنها تحيّد الهيبة ولو للحظة من أجل فهم التركيبة النصية أو اللغوية للقرآن، وتزداد هذه الهيبة في ما يخص سورة الفاتحة لأنها مستخدمة يومياً في الشعائر والطقوس أي في الصلاة أساساً، وبالتالي فإن نزع الهيبة عنها ورؤيتها في ماديتها اللغوية أمر بالغ الصعوبة)[٦٠].

- <u>رفع القداسة عن القرآن الكريم وإلغاء ذاتية النص:</u>

بمعنى تفريغ النص القرآني من الطبيعة الإلهية ونزع القداسة عنه، فالقرآن الكريم –بعد تفريغه من الطبيعة الإلهية– لا يقول شيئاً لا يرغب به الفكر الحداثي، ويقول كل شيء يريده الحداثي من النص ويستنطقه من المعاني، فليس مهمة النص ووظيفته معيارية وإنما هي قضية اختيارية لكل إنسان.

وقد قرر حسن حنفي أنسنة الوحي قائلاً: (الوحي بناء إنساني ووصف لوضع الإنسان في العالم، هذا على خلاف علم الكلام الذي يجعل الوحي لاهوتاً وعلماً إلهياً)[٦١].

لأن (القول بإلهية النصوص والإصرار على طبيعتها الإلهية تلك يستلزم أن البشر عاجزون بمناهجهم عن فهمها مالم تتدخل العناية الإلهية بوهب البشر طاقات خاصة تمكنهم من الفهم)[٦٢].

ويقول نصر أبو زيد عن القرآن: (منذ لحظة نزوله الأولى تحوّل من كونه نصاً إلهياً، وصار فهماً "نصاً إنسانياً"، لأنه تحوّل من التنزيل إلى التأويل. إن فهم النبي للنص يمثل أولى مراحل حركة النص في تفاعله بالعقل البشري لقد تأنسن النص)[٦٣].

فالوحي هو شأن إنساني بحت في الخطابات الحداثية المعاصرة، وأول تمثل لذلك هو القراءة الأولى وهي فهم النبي صلى الله عليه وسلم له !.

إن ربط الوحي بالإنسان هو في حقيقته وجوهره منزع مادي يحوّل النص إلى منتج بشري شارك في بنائه مجموعة لا متناهية من القراء الذين تفاعلوا معه.

- <u>انفتاح المعنى وعدم نهائيته:</u>

وذكر علي حرب أن هناك ثمة قراءتان للقرآن: (قراءة ميتة هي قراءة بحث في النص عن حقائق نهائية أو أجوبة حاسمة أو معلومات جاهزة أو عن معارف ثابتة، قراءة من هاجسه أن يعرف ما يقوله النص أو أن يكشف عن مراد الكلام ومعناه الأصلي. هذه القراءة تؤسس لجمود الفكر أو لركود المجتمع وانحطاطه.

أما القراءة الحيّة فمحركها الكشف والاستقصاء وهاجسها الخلق والتجديد، من هنا فهي لا تتوقف عن المقول والمحمول ولا تكتفي بشرح المعلوم وإيضاح المصرّح به. بل تعني بالكشف عن المجهول والمتغيّب والمسكوت عنه)[٦٤].

---

[٦٠] ص ١١٩ القرآن من التفسير الموروث، محمد أركون، ترجمة: هاشم صالح، بيروت، دار الطليعة، ط١، ٢٠٠١م.
[٦١] (٨٧/١) من العقيدة إلى الثورة، حسن حنفي، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ط١، ١٩٨٨م.
[٦٢] ص ٢٠٦ نقد الخطاب الديني، نصر أبو زيد، بيروت، المركز الثقافي العربي، ط١، ٢٠٠٧م.
[٦٣] ص ١٢٦ نفس المرجع السابق.
[٦٤] ص ٢٠٤ نقد النص، علي حرب، بيروت، المركز الثقافي العربي، ط٢، ١٩٩٥م.

والقرآن الكريم بتعبير حسن حنفي: (تجربة إنسانية عامة لأنها تلخص حكمة الشعوب وخبرات التاريخ المتتالية، وقوانينها العامة. لم يدّع أحد تأليفها، تطابق تجارب الأفراد والجماعات من مختلف الثقافات والعصور. ويشمل العرف وهي العادات والتقاليد والممارسات الاجتماعية في الحياة اليومية)[٦٥].

فالقرآن الكريم ليس كلاماً منزلاً من السماء، إنما هو تعبير عن حاجات الشعوب وخبرات الجماهير!!.

ويقول أركون: (القرآن عبارة عن مجموعة من الدلالات والمعاني الاحتمالية المقترحة على كل البشر، وبالتالي فهي مؤهلة لأن تثير أو تنتج خطوطاً واتجاهات عقائدية متنوعة بقدر تنوع الأوضاع والأحوال التاريخية التي تحصل فيها أو تتولد عنها. فالقرآن نص مفتوح على جميع المعاني، ولا يمكن لأي تفسير أو تأويل أن يغلقه أو يستنفذه بشكل نهائي)[٦٦].

فالنص القرآني تحوّل عند أركون إلى منتج ثقافي ساهم جميع القراء في إنتاج معانيه وتكوين تشريعاته كلٌ بحسب اختصاصه وخلفيته الثقافية!.

- **التقليل من شأن العلماء والمفسرين وفهمهم للقرآن الكريم:**

مع إقرار الخطاب الحداثي بانفتاح المعنى للقرآن الكريم، وكثرة توسلاته بضرورة تحرير العقل والسماح بتعدد الفهم لكتاب الله، إلا أنه لا يتورع عن تسفيه فهم العلماء والمفسرين لكتاب الله، ويحاول التقليل من شأن عقولهم في فهمهم لكلام الله ويصف فهومهم بالانغلاق والأرثوذكسية!.

يقول هاشم صالح: (إن أركون يميز بشكل واضح بين الخطاب القرآني، وبين الخطاب الذي تلاه، والذي يدعوه بالخطاب الأرثوذكسي. فنحن نعتقد أنهما شيء واحد، أو أن الثاني متولد كلياً عن الأول أو مطابق له. ولكن الواقع غير ذلك. فالخطاب القرآني أكثر انفتاحاً على المعنى والرمز وأكثر حرية)[٦٧].

ويقول أيضاً محمد أركون أن (الله لم يفرض تعاليم الوحي على الإنسان كرهاً وقسراً كما يتوهم الناس، وإنما فرضها كذلك تأويل الفقهاء والمفسرين في عصور معينة، فرضوها وكأنها نهائية وأبدية مع أنها تاريخية عرضية وتشكل معنى واحدا من جملة معاني عديدة يزخر بها الوحي)[٦٨].

ولأن العلماء والمفسرين ليسوا بالموصفات العصرية التي يريدها الحداثيون فهم منغلقون لا يعرفون علوم الإنسان الحديثة، جاءت قراءتهم للنصوص قراءة خاطئة.

لذلك يقول عبد المجيد الشرفي: (الإسلام في حاجة إلى علماء ولكن علماء بالمواصفات الحديثة، علماء

[٦٥] (١٠٨/٢) من النص إلى الواقع محاولة لإعادة بناء علم أصول الفقه (بنية النص)، حسن حنفي، القاهرة، مركز الكتاب للنشر، ط١، ٢٠٠٥م.
[٦٦] ص ٤٣ تاريخية الفكر العربي الإسلامي، محمد أركون، ترجمة: هاشم صالح، بيروت، مركز الإنماء القومي، ط٣، ١٩٩٨م.
[٦٧] ص ١٤٨ الفكر الأصولي واستحالة التأصيل، محمد أركون، ترجمة: هاشم صالح، بيروت، دار الساقي، ط١، ١٩٩٩م.
[٦٨] ص ٧٥ من فيصل التفرقة إلى فصل المقال أين هو الفكر الإسلامي المعاصر؟، محمد أركون، ترجمة: هاشم صالح، بيروت، دار الساقي، ط١، ١٩٩٣م.

وباحثون يعرفون كل المسائل التي تهم الدين الإسلامي معرفة جيدة ومباشرة، ولكنهم يعرفون إلى جنبها مقومات الحضارة الحديثة ومقتضيات المعرفة في علوم الإنسان والمجتمع)[٦٩].

وعلى سبيل المثال نجد الإمام الطبري رحمه الله يوصف في الخطاب الأركوني بالساذج لأنه: (يسبق كل تفسير من تفاسيره بالعبارة التالية: "يقول الله" لكأنه يستطيع أن يعرف بالضبط مقصد الله من كلامه ويشرحه حرفياً. وهذا الاعتقاد الساذج يفترض ضمنياً وجود تطابق تام بين التفسير ومقصد المعنى والدلالة، والواقع أن التفسير الإسلامي المعاصر لم يتخلص حتى الآن من هذه السذاجة)[٧٠].

- **التفريق بين النص الشفهي والنص المكتوب:**

يقول عبد المجيد الشرفي: (لفظ القرآن لا يصح أن يطلق إلا على الرسالة الشفوية التي بلغها الرسول إلى الجماعة التي عاصرته. أما ما جمع بعد وفاته في ترتيب مخصوص ودوّن بين دفتين، فمن المعروف أن الصحابة أنفسهم لم يكونوا في البداية متفقين حول مشروعية هذا الجمع الذي لم يقم به النبي صلى الله عليه وسلم ولم يأمر به، فعارض أبو بكر مثلاً الرأي الذي رآه عمر بن الخطاب في هذا الشأن قبل أن يشرح الله صدره لمبادرة صاحبه، وتردد حتى في الاسم الذي سيطلقونه على هذه الظاهرة قبل أن يستقر الأمر على نعتها بالمصحف. أسوة فيما تقول الأخبار بما عرفه بعضهم عن الحبشة.

ثم كان توحيد رواية هذه المدونة بقرار سياسي في عهد عثمان حين جمع الناس على مصحف واحد، وأحرق المصاحف غير الرسمية خوفاً من أن يختلف المسلمون في كتابهم اختلاف اليهود والنصارى)[٧١].

ويذكر أركون السبب في هذا الاختلاف المزعوم بين النص الشفهي والنص المكتوب قائلاً: (الانتقال من الشفهي إلى الكتابي إلى المصحف لم يتم إلا بعد حصول الكثير من عمليات الحذف والانتحال والتلاعبات اللغوية التي تحصل دائماً في مثل هذه الحالات. فليس كل الخطاب الشفهي يُدون، وإنما هناك أشياء تُفقد أثناء الطريق، نقول ذلك ونحن نعلم أن بعض المخطوطات قد أتلفت كمصحف ابن مسعود مثلاً، وذلك لأن عملية الجمع تمت في ظروف حامية من الصراع السياسي على السلطة والمشروعية)[٧٢].

وعليه فالقرآن الذي هو الرسالة الشفهية قد فقد وغيّر ولا يمكننا الوصول إليه لأن الموجود بين أيدينا اليوم هو المدونة التي وصلتنا والتي تم جمعها في ظروف اجتماعية وسياسية غامضة !!

المبحث الرابع:

ملاحظات نقدية

في بداية هذا المبحث أرى من الأهمية بمكان التأكيد على بيان واقع الحداثيين العرب في نقل المصطلحات والأدوات الأجنبية وبترها من سياقاتها

[٦٩] ص ١٩٥ الثورة والحداثة والإسلام.
[٧٠] ص ٩٤ الفكر الإسلامي نقد واجتهاد.

[٧١] ص ٤٨-٤٩ الإسلام بين الرسالة والتاريخ.
[٧٢] ص١٨٨ قضايا في نقد العقل الديني، محمد أركون، ترجمة: هاشم صالح، بيروت، دار الطليعة، ط١، ١٩٩٨م.

الثقافية والمعرفية الأجنبية إلى تراثنا الديني. ويمكننا أن نجزم هنا أن قضية تعريب المصطلحات والأفكار التي تنتجها الترسانة الضخمة الغربية هو واقع الحداثة العربية المعاصرة وشغلهم الشاغل، وذلك لتتبعهم لآخر الصيحات الفكرية المعاصرة ومحاولة نقلها أولاً بأول إلى فضائنا المعرفي العربي الإسلامي.

والملاحظ أن هذه المصطلحات والتي منها مصطلح "الأنسنة" بنسخته العربية لا يستوعب الجذور التاريخية للنسخة الأوروبية وظروف تشكلّها، فهذه المصطلحات لا تعير اهتماماً بمدى ملائمة هذه المفاهيم المستعارة من حقولها المعرفية المنقولة منها إلى حقولها المعرفية المنقولة إليها.

فلذلك نجد أن نقل نظرية "الأنسنة" من حقل التداول الغربي إلى حقل التداول الإسلامي قد تمّ بمغالطة منهجية كبرى، فهو ليس إلا محاولة لنقل صراع تاريخي مسيحي إلى ساحة النصوص الشرعية بدون مراعاة للخصوصية الفكرية الغربية التي أنتجته.

فأنسنة النصوص هي عملية استنطاق لمشكلة موجودة في بيئة أخرى هي البيئة المسيحية، التي عالجت بها "الأنسنة" المشكلات الحقيقية الموجودة في الكتاب المقدس المحرّف "تناقضات الكتاب المقدس وتعارضه مع معطيات العلم الحديث ومخالفته لقوانين العقل وتفسيرات رجال الدين له".

وتكمن المغالطة في تجاهل هذه الخصوصية وتعميم النظريات والمناهج الغربية وتنزيلها على نصوص الوحي، وافتراض وجود مشكلات فيه، ثم محاولة معالجة هذه المشكلات المتوهمة بالأداة الغربية ذاتها!.

وقد وصف واقع هؤلاء الحداثيين العرب وصفاً دقيقاً؛ أستاذ السربون المفكر الفرنسي –المتخصص في الدراسات الإسلامية– "روجيه أرنالديز" (١٩١١–٢٠٠٦م) فقال: (ما أخذه على الفلاسفة العرب المعاصرين أنهم تأثروا كثيراً بالفكر غير العربي، إنهم يترجمون كثيراً، وهذه ظاهرة لافتة مهمة، فمن الضروري أن يلم الفلاسفة العرب المعاصرون بالفلسفات غير العربية، لكن غالباً ما تشكل هذه الترجمات لهؤلاء المفكرين المادة الجاهزة التي يعتمدونها لبناء فكرهم الخاص، وآمل أن يؤسس الفلاسفة العرب فلسفة عربية خاصة دون أن ينغلقوا على الفلسفات غير العربية، وأن يخلقوا فكراً عربياً أكثر استقلالاً، انطلاقاً من تراثهم وتقاليدهم)[٧٣].

وهذا توصيف دقيق منه للحالة الحداثية بنسختها العربية.

إن الرؤية الحداثية بنسختها العربية أضحت تنكر المصدر المتعالي للنص أو على الأقل تغفل قضية اكتمال القرآن ووحدته الفكرية الموضوعية، وتتعامل مع النص الرباني بالفكر الأنسني الذي نشأ وترعرع في البيئة الغربية، وتستخدمه وتطبقه على الإسلام

[٧٣] مقابلة أجريت معه بتاريخ ٦/٤/ ١٩٨٥م في جريدة النهار البيروتيه، منقول من ص ٩ كتاب: العقل والشريعة مباحث في الابستمولوجيا العربية الإسلامية، د.مهدي فضل الله، بيروت ، دار الطليعة، ط، ١٩٩٥م.

بوثوقيه شديدة وبلا ذكر لمسوغات أو أدلة أو براهين.

إن تعريض النصوص الشرعية للقراءة الأنسنية في الخطاب الحداثي هو محاولة لتطويع النصوص الدينية لأمزجة وأهواء وأذواق الإنسان المتغيرة بل وتطالب هذه القراءة الجديدة بانفتاح المعنى وعدم نهائيته، وتحاول أن تزيل مكانة وقدر فهوم العلماء والمفسرين للنصوص الدينية، تفعل كل ذلك ذلك بسبب ثبات تلك النصوص وصلابتها، وعدم قبولها لتعددية المعنى وانفتاحه على غرار النصوص الدينية المسيحية التي أصبحت نصوص بشرية وجاز للعالم الغربي تجاوزها والقفز عليها بعد عمليات الحذف والتحريف والتغيير التي طالت الكتاب المقدس.

أما القرآن الكريم فهو كتاب مختلف اختلافاً نوعياً عن كل ما هو دونه من كتب ونصوص، فهو عبارة عن آيات محكمات يحكي حقائق ثابتة موضوعية؛ كآيات الوجود الإلهي وما يتعلق بالله جل وعلا من وحدانية ومباحث الأسماء والصفات، وكذلك آيات النبوة والمعاد وغيرها مما لا يقبل التعددية القرائية وانفتاح المعنى.

بل حتى باب الأحكام العملية في مجمله هو باب واضح الدلالة محكم غير مفتوح على مصرعيه لتعدد القراءة وانفتاح المعنى.

فهناك أحكام محكمة كوجوب الصلاة والصيام والزكاة وتحريم الربا والزنا، وهناك أحكام متغيرة بحسب الأعراف والعادات ذكرها أصحاب أصول الفقه في كتبهم وتقريراتهم الفقهية.

إن النص القرآني هو نص إلهي منزل من السماء لم يتأثر بأي مؤثرات اجتماعية أو سياسية كما يدعي أصحاب الفكر الأنسني والمناهج النقدية الحديثة، وتعالي هذا الكتاب وتنزله من عند رب العالمين هو أمر قطعي متواتر ومعلوم لدى جميع المسلمين قديماً وحديثاً.

وما يفعله الحداثيين من أنسنة للنصوص الدينية ينطلق من إطار المادة الصلبة حيث يتم استبعاد وجود أي معرفة خارج هذا الإطار المادي الحسي، فالوحي ليس مصدر من مصادر المعرفة، لأن المعرفة خارج الإطار الحسي ليس لها وجود أصلاً.

بالتالي لا وجود للوحي ولا صحة للنبوات والرسلات ولا الكتب المنزلة لأنها أمور تقع خارج إطار الحس، فلا مجال للحديث عن حقيقتها وثباتها، وإن إثباتها من الأهمية بمكان حيث أنه يُعد مقدمة أولية لتحديد الموقف منها.

ونستطيع أن نقول هنا أن قراءة النصوص الدينية بمنظور الأنسنة هو مصاب جلل لأنه اختزال لحقيقة الإنسان الذي يتكون من عدة جوانب روحية ومادية وأخلاقية، وإغفال لطبيعة الإنسان وثنائيته التي خلقها الله عليها والمكونة من روح وجسد، ومحاولة حصره في جانب واحد وهو الجانب المادي فقط، وهذا انتهاك للإنسانية ذاتها لأنه إلغاء لمكون من مكوناته

الأصيلة وهتك لجميع القيم الروحية ذات المصدر الرباني المنزل من السماء إلى الأرض.

فالإنسانية الحقة تقوم على التسليم بالمبادئ العقلية الفطرية الأولية والتي منها ضرورة الإيمان بوجود الخالق جل وعلا مما يعطى الحياة المعنى والغاية، ليعيش الإنسان حياة كريمة متميزة في الأهداف والمعاني والقوانين عن باقي الموجودات الطبيعية في هذا الكون.

أما المنظومة المادية فقد انتهكت حق الإنسان عندما شكلت الإنسان الحديث "ذو البعد الواحد" -بتعبير عبد الوهاب المسيري- الذي تم حصره في سجن المادة الصلبة، فلا يفكر إلا فيها، ولا يعمل إلا لأجلها، ولا يقيس الأمور إلا بمقاييسها، وهدفه التقدم العلمي والصناعي والمادي، وتعظيم الإنتاجية الاستهلاكية، وجعلها مقياس سعادته ورفاهيته[٧٤].

فأصبح الإنسان هو سيد الوجود ومركز الكون ومقياس الحقيقة فهو ضربة من ضربات الطبيعة ومنتج من منتجاتها فضاعت هوية الإنسان وذهبت حقيقته وتهشمت بنيته الأخلاقية والقيمية.

وقد أعلن ميشيل فوكو (١٩٢٦-١٩٨٤م) وهو المفكر الفرنسي المشهور- بـ"موت الإنسان" في القرن العشرين وهي مقولة اشتهرت في الفكر الغربي بانتهاء الإنسان عندما تحطمت القيم والكليات التي تقوم عليها حياته فإعلان الإنسان للإلحاد وإنكاره للقيم المطلقة سيؤدي حتماً إلى موت الإنسان ذاته موتاً محققاً[٧٥] .

وقد وصف زكي نجيب حالة ضياع الإنسان في الفكر الغربي قائلاً: (لقد فشل الغرب نفسه-وهو صانع العلم الحديث- في أن يقيم لنفسه مثل هذا اللقاء بين الطرفين -القيم والتطور-، فكان له العلم، ولكنه فقد الإنسان، وليس هذا اتهاماً من عندنا، بل يكفي أن نتتبع الأدب في أوروبا وأمريكا اليوم - والأدب هو المرآة المصورة للإنسان وما يعتمل في نفسه- لنرى ما يحسه الناس هناك في دخائل صدورهم من ملل، وسأم، لا يجد الفراغ ليخلو إلى نفسه، ويصغي إليها، كأنما كل فرد هناك هو فاوست، أغراه الشيطان بأن يبيع نفسه من أجل علم يحصله أو مال يكسبه أو قوة يستبد بها ويطغى. ولسنا نقول ذلك وفي أذهاننا ذرة من رغبة في التهوين من شأن العلم والمال والقوة، بل نقوله لنؤكد ضرورة أن يضاف إليها شيء آخر، هو القيم الخلقية والجمالية التي تجعل من الإنسان إنسانا بالعمق، بعد أن جعل منه العلم والمال والقوة إنسانا بالطول والعرض)[٧٦] .

أما منهج القرآن الكريم فهو تحقيق إنسانية الإنسان باتزان واعتدال وموازنة بين مطالب الروح والجسد، فلا يطغى جانب على آخر، كما في قوله تعالى:

---

[٧٤] انظر (٢٥٣/١) وموسوعة اليهود واليهودية.

[٧٥] انظر ص٣١٢ الكلمات والأشياء، ميشيل فوكو، ترجمة: مصاع صفدي وآخرين، مركز الإنماء العربي، ط١، ١٩٩٠م.

[٧٦] ص ٢٧١تجديد الفكر العربي، زكي نجيب محمود، القاهرة، دار الشروق، ط٩، ١٩٩٣م.

(وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ) سورة القصص:٧٧.

ونزل هذا الكتاب المبين من أجل سعادة الإنسان وتحقيق هذه الموازنة الراشدة فقال عز وجل: (مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ) سورة طه:٢.

وكرم الله الإنسان وجعل له مكانة خاصة بين المخلوقات (وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا) سورة الاسراء:٧٠

ولمكانة الإنسان وفرادته بين سائر الموجودات نفخ فيه من روحه –عز شأنه–، كما ذكر ذلك الكتاب العزيز عن خلق آدم عليه السلام:(ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ) سورة السجدة: ٩.

وأمر أعظم المخلوقات بالسجود له اعترافاً بمكانته وشهودا لمحفل التكريم فقال عز من قال: (إِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن طِينٖ ٧١ فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ٧٢) سورة ص:٧١-٧٢، وأحسن الله سبحانه وتعالى خلق هذا الإنسان: (لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ) سورة التين:٤، وسخر للإنسان كل ما في الكون من مخلوقات وأعدها وهيئها له، وذلك لمكانته ومنزلته فقال تعالى: (أَلَمۡ تَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةٗ وَبَاطِنَةٗۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ) سورة لقمان: ٢٠-٢١.

وذلل الأرض ومهدها لأجل الإنسان: (هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ) سورة الملك: ١٥. وخلق ما في الأرض لأجل الإنسان: (هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا) سورة البقرة: ٢٩.

كل ذلك لتحقيق دور الخلافة التي أنيطت به: (وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ) سورة البقرة:٣٠ .

وعلمه ربه الأسماء كلها: (وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا) سورة البقرة:٣١.

كل ذلك لشهود الإنسان وانضمامه لموكب التكليف: (إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا) سورة الأحزاب: ٧٢.

وفي هذا المشهد التكريمي البديع استهدف القرآن الكريم عقل الإنسان وقصد استحثاثه على الفهم والتدبر والبحث والتأمل والنظر في رحلة الوجود، فجاء الخطاب في هذا الكتاب العزيز يخاطب عقله في عدد من المواضع منها:

(أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ) سورة النساء:٨٢ وسورة محمد:٤٢

(لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) سورة العنكبوت:٣٥

(وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ) سورة المائدة: ١٠٣

(وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ) سورة البقرة : ٢٦٩ وسورة آل عمران :٧

(إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ) سورة الرعد :١٩

(وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ) سورة إبراهيم :٥٢

(لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) سورة الحشر:٢١

(إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) سورة الزمر:٤٢

(وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) سورة النحل:٤٤

(لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) سورة يونس:٢٤

كل ذلك من أجل تحقيق الغاية العظمى التي خلق لأجلها وتحقيق العبودية التي تحقق معادلة التوازن بين الروح والجسد (وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) سورة الذاريات: ٥٦. وقال عز وجل: (ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًاۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ) سورة الملك: ٢ .

هذه هي وظيفة الإنسان ومآله في هذا الكتاب العزيز تحقيق العبودية لله وحده والتحرر من عبودية الطين وذرات المادة الصلبة.

الخـــاتمـــة

الحمد لله ذي الفضل والنعم، والصلاة والسلام على الرسول الأمين صاحب الرسالة الخاتمة وصاحب الدين القويم، الذي تركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، وعلى آله وصحبه البررة ومن تمسك بسنته إلى يوم الدين، وبعد:

بعد أن طفنا في أروقة هذا البحث ومررنا على مباحثه وعرضنا مفهوم الأنسنة وتشكل المفهوم في الفكر الغربي وانتقاله إلى الفكر الحداثي العربي المعاصر، وذكرنا أبرز الملاحظات النقدية عليه، يحسن بنا أن نسجيل أهم النتائج والتوصيات التي منها:

- أن مصطلح الأنسنة من جملة المصطلحات الأجنبية المستوردة من الفضاء الفكري المادي الغربي، والمنقولة إلى فضائنا العربي الإسلامي دون مراعاة لخصوصيته الثقافية المعرفية.
- أن الأرضية المادية التي انطلق منها فلاسفة الغرب ومفكروه والتي تحكمت بمواقفهم تجاه الدين وتجاه الحقيقة ذاتها هي المنطلق الأساسي في انتهاج الأنسنة وتوظيفها في قراءة النصوص الدينية.

- أن التفوق العلمي والمنجزات الحضارية التي حققها الغرب أكسبته شعوراً بتفوق الإنسان، وأنه يستطيع أن يفسرّ كل شيء وتشكلت كل معارفه من خلال تلك المنظومه المادية.

- أن الغرب المادي أراد فرض تفوقه كبنية مرجعية للعالم أجمع وفق رؤاه المعرفية، وهذا ما ولد لدى الباحث الحداثي العربي رغبة وإلحاحاً شديداً على السير على ذات المنهج الغربي لضمان التقدم.

- أن خطاب الحداثة العربي المعاصر ينطلق في دعواته وتوسلاته في قراءة النصوص من نفس المنطلقات الغربية وتحديداً القراءة الأنسنية للنصوص الدينية.

- أن سمة ظاهرة التأويل المعاصرة أنها كانت نقدًا منفتحًا على المناهج النقدية المستمدة من علوم النفس والاجتماع الإنساني الغربية دون اعتبار لخصوصيتها الثقافية ونسبيتها الزمكانية.

- أن قراءة النصوص الدينية بمنظور الأنسنة هو اختزال لحقيقة الإنسان الذي يتكون من عدة جوانب روحية ومادية وأخلاقية، وإغفال لطبيعة الإنسان وثنائيته التي خلقها الله عليها والمكونة من روح وجسد.

أما بالنسبة لأهم التوصيات فهي:

- أن تهتم أقسام الدراسات الإسلامية بالجامعات بإجراء الدراسات الأكاديمية المختصة بدراسة الواقع المعاصر، وليس فقط دراسة التراث –مع أهمية ذلك– لكي لا نكون غرباء عن العصر الذي وجدنا فيه، ولكي لا نترك الساحة لغيرنا من أدعياء الحداثة الذين يطرحون مشاريعاً تحديثية ويقدمون حلولاً توليفيه للمسلمين باسم الأنسنة والتقدم والمصلحة العامة والمعاصرة.

- ضرورة إجراء المزيد من الأبحاث والدراسات التفكيكية والنقدية لذلك النتاج الهائل من المصطلحات والمفاهيم والأفكار في عالم ما بعد الحداثة، والتي يصدّرها الغرب إلى عالمنا العربي والإسلامي نتيجة حراكه الفكري الدائم والمتسارع وهيمنته السياسية والثقافية على العالم أجمع.

- تعزيز الثقة بالتراث الديني وفق منهجية السلف وأدواتهم وآلياتهم في التعامل مع النصوص الشرعية.

- ويجب السعي لاستقلال المفكر والباحث العربي ليمارس دراسته دون وجود هيمنة معرفية أو حمولة ثقافية مسبقة تسطير على خياراته البحثية، وتحول دون مقاصد النصوص وغاياتها التأويلية.

والله أعلى وأحكم وأعلم، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

قائمـة المراجـع

- أبو زيد، نصر، (٢٠٠٧م)، نقد الخطاب الديني، ط١، بيروت، المركز الثقافي العربي.
- أركون، محمد، (٢٠٠١م)، معارك من أجل الأنسنة، ط١، بيروت، دار الساقي.
- أركون، محمد، ترجمة: صياح الجهيم، (١٩٩٦م)، نافذة على الإسلام، ط١، بيروت، دار عطية.

- أركون، محمد، ترجمة: هاشم صالح، (١٩٩٩م)، الفكر الأصولي واستحالة التأصيل، ط١، بيروت، دار الساقي.
- أركون، محمد، ترجمة: هاشم صالح، (١٩٩٠م)، الفكر الإسلامي نقد واجتهاد، ط١، الساقي.
- أركون، محمد، ترجمة: هاشم صالح، (١٩٩٣م)، من فيصل التفرقة إلى فصل المقال أين هو الفكر الإسلامي المعاصر؟، ط١، بيروت، دار الساقي.
- أركون، محمد، ترجمة: هاشم صالح، (١٩٩٨م)، تاريخية الفكر العربي الإسلامي، ط٣، بيروت، مركز الإنماء القومي.
- أركون، محمد، ترجمة: هاشم صالح، (١٩٩٨م)، قضايا في نقد العقل الديني، ط١، بيروت، دار الطليعة.
- أركون، محمد، ترجمة: هاشم صالح، (٢٠٠١م)، القرآن من التفسير الموروث، ط١، بيروت، دار الطليعة.
- بدوي، عبد الرحمن، (١٤٠٣هـ)، الإنسانية والوجودية في الفكر العربي، لبنان، دار القلم، الكويت، وكالة المطبوعات.
- بري، رالف بارتون، ترجمة: سلمى الخضراء الجيوسي، (١٩٦١م)، إنسانية الإنسان، بيروت، مكتبة المعارف.
- برينتون، كرين، ترجمة: شوقي جلال، مراجعة: صدقي حطاب، (٢٠٠٢م)، تشكيل العقل الحديث، ط١، الكويت، عالم المعرفة.
- تارناس، ريتشارد، ترجمة: فاضل جتكر، (١٤٣١هـ)، آلالام العقل الغربي، ط١، الرياض، العبيكان.
- حرب، علي، (١٩٩٥م)، نقد النص، ط٢، بيروت، المركز الثقافي العربي.
- حرب، علي، (٢٠٠٤م)، حديث النهايات فتوحات العولمة ومآزق الهوية ط٢، بيروت، المركز الثقافي العربي.
- الحفني، عبد المنعم، (١٩٨٦م)، الموسوعة الفلسفية، ط١، القاهرة، مكتبة مدبوي.
- حنفي، حسن، (١٩٨٨م)، من العقيدة إلى الثورة، الدار البيضاء، ط١، المركز الثقافي العربي.
- حنفي، حسن، (٢٠٠٥م)، من النص إلى الواقع محاولة لإعادة بناء علم أصول الفقه (بنية النص)، ط١، القاهرة، مركز الكتاب للنشر.
- حنفي، حسن، وحنفي، مصطفى، (٢٠١٤م)، النزعة الإنسانية وإرث الأنوار، الدار البيضاء، أفريقيا الشرق.
- ديوازنت، ول، ترجمة: فتح الله المشعشع، ط٦، قصة الفلسفة، بيروت، دار المعرف.
- الرماح، ابراهيم بن عبد الله، (١٤٣٩هـ)، الإنسانوية المستحيلة "إشكالات تأليه الإنسان

وتفنيدها في الفكر المعاصر"، ط١، الرياض، مركز دلائل.

- زكريا، فؤاد، نيتشه، دار المعارف.
- زيدان، محمود، (١٩٥٨م)، وليم جيمس، مصر، دار المعارف.
- الشرفي، عبد المجيد، وهوفمان، مراد، (٢٠٠٨م)، مستقبل الإسلام في الشرق والغرب (ضمن سلسلة حوارات لقرن جديد)، ط١، سوريا، دار الفكر المعاصر.
- الشرفي، عبد المجيد، (٢٠٠٨م)، الإسلام بين الرسالة والتاريخ، ط٢، بيروت، دار الطليعة.
- الشرفي، عبد المجيد، (٢٠١١م)، لبنات في قراءة النصوص، ط١، تونس، دار الجنوب.
- الشرفي، عبد المجيد، (٢٠١١م)، الثورة والحداثة والإسلام، ط١، تونس، دار الجنوب.
- صالح، هاشم، (٢٠٠٥م)، مدخل إلى التنوير الأوروبي، بيروت، ط١، دار الطليعة.
- صالح، هاشم، (٢٠٠٨م)، مخاضات الحداثة التنويرية القطيعة الإبستمولوجية في الفكر والحياة، ط١، بيروت، دار الطليعة.
- الطرابيشي، جورج، (٢٠٠٦م)، معجم الفلاسفة، ط١، بيروت، دار الطليعة.
- عبد الرحمن، طه، (٢٠٠٩م)، روح الحداثة المخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية، ط٢، بيروت، المركز الثقافي العربي.
- عوض، رمسيس، (١٩٩٧م)، الإلحاد في الغرب، ط١، القاهرة، دار سينا للنشر.
- فضل الله، د.مهدي، (١٩٩٥م)، العقل والشريعة مباحث في الابستمولوجيا العربية الإسلامية ، ط١، بيروت ، دار الطليعة.
- فوكو، ميشيل، ترجمة: مصاع صفدي وآخرين، (١٩٩٩٠م)، الكلمات والأشياء، ط١، مركز الإنماء العربي.
- فيورباخ، ترجمة: أحمد عطية، (١٩٩١م)، أصل الدين، ط١، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات.
- القاسم، عبد العزيز، مجموعة مؤلفين، (٢٠١٣م)، مدخل لتكوين طالب العلم في العلوم الإنسانية، ط٢، بيروت، الشبكة العربية للأبحاث.
- كرم، يوسف، تاريخ الفلسفة الحديثة، مصر، مؤسسة هنداوي للنشر والتوزيع.
- كولينز، جيمس، ترجمة: فؤاد كامل، (١٩٩٨م)، الله في الفلسفة الحديثة، ط٣، دار قباء للطباعة.
- كون، توماس، ترجمة: حيدر حاج اسماعيل، (٢٠٠٧م)، بنية الثورات العلمية، ط١، بيروت، المنظمة العربية للترجمة، توزيع: مركز دراسات الوحدة العربية.
- كيحل، مصطفى، (٢٠٠٧-٢٠٠٨م)، "الأنسنة والتأويل في فكر محمد أركون"، أطروحة دكتوراة بإشراف: إسماعيل زروخي، قسنطينة، جامعة منتوري ، نسخة إالكترونية على الشبكة العنكبوتية.

▪ لالاند، اندري، تعريب: خليل أحمد خليل، (١٩٨٦م) موسوعة لالاند الفلسفية، ط١بيروت- باريس، منشورات عويدات.

▪ لو، ستيفن، ترجمة: ضياء وراد، مراجعة: مصطفى محمد فؤاد، (٢٠١٦م)، الإنسانوية مقدمة قصيرة جداً، ط١، القاهرة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة.

▪ محمود، زكي نجيب، (١٣٥٥هـ)، قصة الفلسفة الحديثة، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة.

▪ محمود، زكي نجيب، (١٩٩٣م)، تجديد الفكر العربي، ط٩، القاهرة، دار الشروق.

▪ المسيري، عبد الوهاب، (١٩٩٩م)، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ط١، دار الشروق.

▪ المسيري، عبد الوهاب، (٢٠٠٦م)، دراسات معرفية في الحداثة الغربية، ط١، مصر، مكتبة الشروق.

▪ هازار، بول، ترجمة: نعيمة إدريس، (٢٠٠٧م)، أزمة الوعي الأوروبي، جامعة منتوي قسنطينية.

▪ هيدجر، وستروس، ليفي، وفوكو، ميشيل، ترجمة: عبد الرزاق الداوي، (١٩٩٢م)، موت الإنسان في الخطاب الفلسفي المعاصر، ط١، بيروت، دار الطليعة.

▪ هيوستن، نانسي، ترجمة: وليد السويركي، (٢٠١٢م)، من أين أتت العدمية؟، ط١، دار الكلمة.

مراجع أخرى:

١- إدالكوس، عبد الله، (إبريل ٢٠١٧م)، مقال بعنوان "الأنسنة في فكر محمد أركون"، مجلة ذوات (٣٥).

٢- موقع ذانيال هتانو:

https://humanitariansy.wordpress.com/201/1/01/15/p1u2qs-f

The term "humanization" and its manifestations in contemporary thought (a critical analytical study).

Nada Hamzh Abdo Khayyat

Associate Professor
Islamic faith
Taibah University
Islamic Studies
Faculty of Arts and Humanities

Abstract. **Objectives of the research:** To reveal the concept of humanization and its consequences in contemporary secularization letters and modernist interpretation in the reading of legitimate texts.
Research Methodology: The analytical and critical approaches were followed in this research.
The most important results: that the material ground from which the philosophers and thinkers of the West, which governed their attitudes towards religion and the truth itself, is the basic starting point in the pursuit of humanization and employ them in reading religious texts.
The most important recommendations: The need to conduct more research and deconstructive and critical studies of new terms and concepts in the postmodern world, which are issued to our Arab and Islamic world, and respond to them according to a rational methodology inspired by the method of advances and their tools and mechanisms in dealing with offenders.
Keywords: Humanization / Modernist Interpretation / Contemporary Reading / Humanism / Arab Modernism.